22

تفسير القرآن بالقرآن
عند المفسرين المعاصرين
لآيتي الاستخلاف وتعليم الأسماء
لآدم عليه السلام ـ دراسة مقارنة

م. م سعد وهيب علوان
أ. د ياسر إحسان رشيد
جامعة الأنبار ـ كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية

الملخص:

تتناول هذه الدراسة تفسير القرآن بالقرآن عند أشهر المفسرين المعاصرين وبيان لمفهوم هذا الأصل التفسيري مع عرضٍ لأسلوب التفسير المقارن وبيانٍ لمصطلحه ونشأته وأهميته ومنهجه، حاولت في إظهار بعض ملامح هذا اللون من خلال شرحٍ تطبيقيٍّ لآيتي الاستخلاف وتعليم الأسماء لآدم عليه السلام تتبعت فيها أقوال أشهر المفسِّرين مع ذكر أدلة كل قولٍ ومناقشتها بمنهجٍ علميٍّ محددٍ وصولًا إلى القول الراجح فيها وبما يحقق غاية علم تفسير في الوصول إلى معرفةٍ علميةٍ تعين القارئ على فهم كتاب الله تعالى واستلهام تعاليمه واستخراج كنوز معارفه.

الكلمات المفتاحية: تفسير ـ القرآن ـ الاستخلاف ـ دراسة مقارنة .

Abstract

This study deals with the interpretation of the Qur'an by the Qur'an and the method of comparative interpretation through a presentation of its term, its origin, importance and methodology. I tried to show some of the features of this color through an applied explanation of a blessed verse in which I traced the sayings of the most famous commentators on what is meant by the caliph, with mentioning the evidence for each saying and discussing it with a specific scientific method, leading to the most correct saying in it and what achieves The goal of the science of interpretation is to reach scientific knowledge that helps the reader to understand the book of God Almighty, to be inspired by his teachings, and to extract the treasures of his knowledge.

المقدمة:

الحمد لله الكريم المنان على نعمة الإسلام والإيمان والقرآن، وأشهد أن لا إله إلا الله ذو الطَول والإحسان، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله النبي العدنان، أما بعد:

فإن الله تعالى بعث إلينا نبينا محمدًا صلى الله عليه وسلم بخير كتابٍ وخير دستورٍ فيه الهداية والنور لمن سار عليه والتزم هديه، وفيه العلم والحكمة والبركة ولا يُحرم منها إلا هالك، قال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩ ﴾[1].

ومن هذا المنطلق شرعت في كتابة بحثي هذا في تفسير القرآن بالقرآن بعرضٍ تأصيليٍّ مختصرٍ يتبعه تطبيقٌ مقارنٌ لتفسير المراد بالآيتين وبيان مدى تناولهما عند مجموعةٍ مختارةٍ من أشهر المفسِّرين المعاصرين وعرضٍ لأقوالهم ومن ثَمَّ مناقشتها وصولًا إلى القول الراجح في ذلك.

أهمية البحث:

تكتسب هذه الدراسة أهميتها من منزلة علم التفسير وشرفه بين العلوم الأخرى وبالأخص تفسير القرآن بالقرآن كونه أعلى وأشرف طرق التفسير، ومكانة أسلوب التفسير المقارن الذي يُعنَى باستخراج المعنى الراجح من بين أقوالٍ ذُكِرَت في تفسير لفظٍ قرآني تعددت آراء العلماء فيه، وقد

استوقفني في ذلك قوله تعالى في بيان حقيقة الاستخلاف والتعليم لآدم عليه السلام، فآثرت دراسة ذلك دراسةً مقارنةً علميةً وفق المنهج المتبع في أسلوب التفسير المقارن.

منهج البحث:

سرت في طرح هذا الموضوع بإيراد النصوص القرآنية التي فسرت آيتي الاستخلاف وتعليم الأسماء لآدم عليه السلام على خطى منهج التفسير المقارن بعرضٍ مختصرٍ لتفسير الآية، وعرضٍ للأقوال الواردة في تفسير المعنى المراد، ومن ثَمَّ مناقشة تلك الأقوال وذكر أدلة كل قول ووجه استدلاله والموازنة بين القائلين به من جهة الاتفاق والاختلاف والانفراد إن وجدت وصولًا إلى ترجيح المراد منها وفق قواعد التفسير وقواعد الترجيح المعروفة.

خطة البحث:

اشتمل البحث على ملخصٍ مختصرٍ ومقدمةٍ احتوت أهمية البحث ومنهجه بعدها تمهيدٌ لتعريف تفسير القرآن بالقرآن والتفسير المقارن، ثم تلا ذلك مبحثان لتفسير الآيتين وصولًا إلى خاتمة البحث ونتائجه وقائمة بأهم مصادره.

تمهيد:

في هذا العرض الموجز أقدم نبذةً مختصرةً عن تفسير القرآن بالقرآن وأُسلوب التفسير المقارن وما يتعلق به من تفاصيل تكون أساسًا ينطوي عليه علم القارئ ومعرفته بهذا الأسلوب من التفسير ومدى أهميته في الوصول إلى المعنى المراد.

مفهوم تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً : التفسير لغةً: التفسير هو الإيضاح والتبيين، وهو مصدرٌ من فَسَّرَ يُفَسِّرُ تفسيراً، قال تعالى: **(وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا)** [2]، قال ابن فارس: الفاء والسين والراء كلمةٌ واحدةٌ تدل على بيان الشيء وإيضاحه، وقال ابن منظور: فَسَّرَ الشيء بالكسر وبالضم بمعنى أبانه وهو كشف المراد عن اللفظ المشكل[3].

ثانياً : التفسير اصطلاحاً:

تباينت تعريفات المفسِّرين لمصطلح التفسير وجميعها ترجع إلى المعنى اللغوي له وهو الكشف والإبانة والإفصاح، فقد عرَّفهُ ابن جزي الكلبي بقوله: **(شرح القرآن وبيان معناه والإفصاح بما يقتضيه بنصه أو إشارته أو فحواه)**[4]، وعرّفه الزركشي بقوله: **(علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه)**[5]، وعرَّفه الزرقاني بقوله: **(علمٌ يُبحَث فيه عن أحوال القرآن المجيد بقدر الطاقة البشرية)**[6]، وهذا التعريف هو الصواب؛ لأنَّه شاملٌ لكل ما يدخل تحت مراد الله تعالى، وتقييده بالطاقة البشرية؛ لأنَّ ما يذهب إليه المفسر قد يوافق مراد الله تعالى وقد لا يوافقه تبعاً للطاقة البشرية المحدودة.

ثالثاً : القرآن لغةً:

اختلف في لفظ القرآن اشتقاقاً بين أصله مهموزاً أو غير مهموزٍ على أقوال[7]، فقد ذهب الأكثر إلى أَنَّه مهموزٌ؛ لكنهم اختلفوا في اشتقاقه على قولين:

الأول: هو مصدرٌ من التلاوة كالغفران والشكران.

الثاني: هو وصفٌ على فُعلَان من القرء بمعنى الجمع، ويسمى قرآناً؛ لجمعه السور والآيات والقصص والأوامر والنواهي وغيرها.

وذهب غيرهم الى كونه غير مهموز على قولين:

الأول: من قرن الشيء بالشيء بمعنى ضمه وجمعه؛ وسمي القرآن كذلك لاقتران السور والآيات والحروف داخل دفتيه.

الثاني: من القرائن لأن آياته يصدق بعضها بعضاً.

وذهب آخرون إلى أَنَّه غير مشتقٍ وهو اسم علم موضوع للدلالة على الكلام المُنزَّل على النبي صلى الله عليه وسلم، وأجلى هذه الآراء وأقواها القول الأول لدليل يعضده من القرآن وهو قوله تعالى: **(إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ)** [8].

رابعاً: القرآن اصطلاحاً:

هو اللفظ العربي المعجز الموحى به إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم بواسطة جبريل عليه السلام المنقول بالتواتر المكتوب في المصاحف المُتَعَبَّد بتلاوته المبدوء بسورة الفاتحة المختوم بسورة الناس[9].

خامسًا: تعريف تفسير القرآن بالقرآن:

لم يتعرض أكثر المفسرين لوضع حد لتعريف تفسير القرآن بالقرآن وذلك لوضوح وجلاء ما يُفهَم من تفسير القرآن بالقرآن، وخاصة أنَّ القرآن يشهد على بعضه ويُفسِّر بعضه بعضاً، لكن اكتفى هؤلاء المفسِّرون بذكر الأمثلة عليه والاستشهاد به، أضف إلى ذلك ارتباط هذا المصطلح بمفهوم التفسير، وهو نوع من انواع ومصادر التفسير المعروفة وتعريف الكل يُعَوِّض عن تعريف الجزء ومع ذلك فقد عرَّفه بعض العلماء بتعريفاتٍ منها:

1ـ مقابلة الآية بالآية وجعلها شاهداً لبعضها الآخر ليستدل على هذه بهذه فيفهم بذلك المعنى المراد[10]، لكن هذا التعريف ليس شاملاً لمفهوم هذا المصطلح.

2ـ عرفه د. أحمد البريدي، بأنه: بيان القرآن بالقرآن[11].

والناظر في طريقة المفسِّرين المهتمين بتفسير القرآن بالقرآن يدرك جلياً أنهم لم يقتصروا على ما فيه بيان الآية بالآية الأخرى بل توسعوا لأكثر من ذلك فجعلوا ضمن ذلك التفسير كل ما يستفاد من آيات القرآن كالاستشهاد وجمع موارد اللفظ القرآني، وجمع الآيات المتشابهة في موضعٍ واحدٍ، والجمع بين ما يُتَوَهَّم أنَّه مختلفٌ وغيرها، فيدرك من ذلك أنَّ كل ما قيل فيه أنَّه تفسير القرآن

بالقرآن إن لم يتحقق فيه مقصود الآية بآية أخرى فلا يعد ذلك تعبيراً مطابقاً لهذا المصطلح، بل هو من المصطلح الموسَّع في تفسير القرآن بالقرآن، ولذلك يقسم مصطلح تفسير القرآن بالقرآن الى قسمين[12]:

القسم الأول: ما يطابق بيانه بيان آية أخرى وهو ما يعبر تعبيراً دقيقاً عن هذا المصطلح.

القسم الثاني: مصطلح موسَّع لم يكن فيه بيان عن آيةٍ بآيةٍ أخرى وهو ما سار عليه أكثر المفسِّرين في تفسير القرآن بالقرآن.

سادسًا: المقارن لغةً:

القاف والراء والنون كلمة تدل على معنيين: الأول جمع الشيء إلى الشيء والثاني شيءٌ ينتأ بقوةٍ وشدةٍ[13]، وتقارن الشيئان: إذا تلازما[14]، وهو معنى مشهور لا يخلو منه معجمٌ لغوي، والمقصود هنا هو جمع الشيء إلى الشيء.

سابعًا: مصطلح التفسير المقارن:

التفسير المقارن من المصطلحات المعاصرة التي لم يتطرق لها المفسِّرون القدامى بشكلٍ منفردٍ، وأول من عرَّف هذا المصطلح د. أحمد السيد الكومي قائلًا: **(هو بيان الآيات القرآنية على ما كتبه جمعٌ من المفسِّرين بموازنة آرائهم والمقارنة بين مختلف اتجاهاتهم والبحث عما عساه يكون ممن التوفيق بين ما ظاهره مختلفٌ من آيات القرآن والأحاديث، وما يكون ذلك مؤتلفًا أو مختلفًا من الكتب السماوية الأخرى)**[15]، وفي هذا التعريف ابتعادٌ عن مضمون التفسير المقارن للقرآن؛ لأنَّ فيه مقارنة مع الحديث الشريف والكتب السماوية الأخرى.

وعرَّفه د. مصطفى المشني تعريفًا جامعًا مانعًا بقوله: **(الموازنة بين آراء المفسِّرين في بيان الآيات القرآنية والمقارنة بين مناهجهم ومناقشة ذلك وفق منهجيةٍ علميةٍ موضوعيةٍ)**[16].

ثامنًا: نشأة التفسير المقارن[17]:

ظهرت البوادر الأولى لهذا النوع منذ نشأة وبداية التفسير لآيات القرآن على عهد النبوة لكنه لم يُحَد بحدٍ اصطلاحيٍّ كما هو معروف حاليًا، ووقد تثل ذلك بما كان من اختلافٍ تفسيريٍّ بين الصحابة الكرام وتباينٍ لآرائهم ومداركهم وطرق استدلالهم على المعنى المراد، ولنا في ذلك أمثلةٌ في اختلاف تفسير الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر خير دليلٍ، وما هذه الصورة إلا إشارةٌ لتأصيل التفسير المقارن وتطوره في ما بعد.

ثم جاء عصر التابعين ومن بعدهم فازداد تنوع واختلاف التفسير لكنه لم يشكل ملامح واضحةً للمصطلح يُعتَمد عليها ومن ذلك جهود الإمام الطبري في عرض الأقوال ومناقشتها والترجيح بينها لمعرفة الراجح من المرجوح، كذلك تشهد بذلك تعقبات أبي حيان على ابن عطية في محاولةٍ جادةٍ لإبراز هذا النوع.

ثم جاءت جهود المفسِّرين المعاصرين باستقراءٍ للجانب النظري والتطبيقي لتفسير المقارن تمثل في بحوث ودراساتٍ أصَّلَت لمنهج التفسير المقارن، ومن أشهر تلك الدراسات:

1ـ التفسير الموضوعي د. أحمد الكومي ومحمد القاسم.

2ـ مباحث في التفسير الموضوعي د. مصطفى مسلم.

3ـ التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق د. صلاح عبد الفتاح الخالدي.

4ـ التفسير المقارن دراسة تأصيلية، بحث في مجلة الشريعة والقانون، الجامعة الاردنية، العدد 26 لسنة 2006.

5ـ التفسير المقارن دراسة تأصيلية تطبيقية، د. محمود عقيل العاني ـ رسالة دكتوراه ـ جامعة بغداد ـ إشراف أ. د. عبد القادر القيسي ـ 2013.

6ـ التفسير المقارن بين النظرية والتطبيق د. روضة عبد الكريم فرعون.

تاسعًا: أهمية التفسير المقارن:

يمكن من خلال الخوض في غمار التفسير المقارن لآيات القرآن إجمال أهمية هذا الأسلوب وغاياته الأساسية بالنقاط التالية:

1ـ تكوين المَلَكَة التفسيرية لدى الباحث من خلال معرفة الاختلاف في المراد من الآيات المقارنة، والوقوف على كنوز وحقائق القرآن التي لا تُعَدُّ ولا تحصى.

2ـ اعتماد القواعد الصحيحة للوصول إلى المقارنة بين أقوال العلماء من خلال معرفة أسباب اختلافهم للتفسير من حيث التنوع والتضاد وما يرافق ذلك من إعمالٍ للفكر وتدقيقٍ للنظر .

3ـ الوصول بالباحث إلى الابتعاد عن الهوى والتعصب المذهبي والآراء الفاسدة والتزام الحيادية والمنهج العلمي الصحيح في التفسير.

4ـ إثراء علم التفسير بالمعارف المتنوعة من خلال تنوع البحوث والتصانيف خدمةً للقرآن الكريم وإبرازًا لقيمة المفسِّرين وتثمينًا لجهودهم.

عاشرًا: خطوات البحث في التفسير المقارن[18]:

ينبغي للباحث المفسِّر لآيات القرآن أن يلتزم بمنهجٍ بحثيٍّ في أسلوب التفسير المقارن تحقيقًا للهدف المنشود منه، وهذه أهم الخطوات:

1ـ دراسة الموضوع وتحديد غاياته ومقاصده واستيفاء مفرداته والآيات المراد تفسيرها تفسيرًا مقارنًا وما يتعلق بتلك الآيات من مادةٍ علميةٍ يقارن الباحث فيها بين مفسِّرَين أو مجموعة مفسرين كما سنرى في هذا الجهد المتواضع.

2ـ وضع خطةٍ منهجيةٍ محكمةٍ متسلسلة المباحث والمطالب، وهو منهجٌ مُتَّبَعٌ طبقه علماؤنا القدامى وسار عليه من بعدهم من أئمة العلم.

3ـ تدوين المادة العلمية وجمع أقوال العلماء في بيان المعنى المراد لتُقارَن بكل دقةٍ وموضوعيةٍ وحياديةٍ.

4ـ مناقشة الأقوال والاستدلال عليها بالأدلة العقلية والنقلية، وبيان مواضع الاتفاق والاختلاف والانفراد.

5ـ تسجيل النتائج باعتماد الرأي الراجح في ضوء قواعد التفسير وقواعد الترجيح المعتبرة مع اتقان اللغة ودقة الأسلوب واختيار الألفاظ المناسبة.

المبحث الأول: المراد بالاستخلاف في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[19] .

المطلب الأول: التفسير الإجمالي للآية:

تُعَدُّ الآية الكريمة منقبةً عظيمةً وفضيلةً كريمةً اختص الله تعالى بها آدم عليه السلام وذريته باستخلافه في الأرض وإقامة وتحقيق شرع الله تعالى فيها، وهي في الوقت نفسه ابتلاءٌ واختبار لبني البشر حتى يميز الله تعالى فيها الخبيث من الطَّيِّب وما يستحقه أهلها من ثوابٍ أو عقابٍ، وتتجسَّد القصة بتبليغ الله تعالى ملائكته باختيار آدم عليه السلام لخلافة الأرض وإعمارها بأسلوبٍ تمثيليٍ يُبرِز المعاني المعقولة بالصور المحسوسة لبيان مدى تكريم الله تعالى لخليفته في الأرض بما يوجب الإيمان بنعم الخالق عز وجل والتذكير بها وشكرها[20].

والخليفة لغةً: من خلف فلان فلانًا إذا استُخلِف مكان من قبله وقام مقامه وجُعِلَ خليفةً له[21].

والخليفة اصطلاحًا: السلطان الأعظم الحاكم بين الخصوم[22].

المطلب الثاني: عرض الأقوال:

اختلف المفسرون المعاصرون في المقصود بـ(خليفة) في الآية على ثلاثة أقوالٍ:

القول الأول: خليفةٌ عن الله تعالى في إقامة شرعه وأحكامه وهو آدم عليه السلام، وبه قال: الآلوسي، وصِدِّيق خان، والقاسمي، والمراغي، وابن عاشور، والشنقيطي، وأبو زهرة، والشعراوي، والهرري، وسيد طنطاوي، والزحيلي[23]، وهو قول ابن مسعود، وابن عباس رضي الله عنهما، والسُّدِّي[24].

القول الثاني: المراد قومٌ يخلف بعضهم بعضًا جيلًا بعد جيلٍ، وبه قال: القاسمي، وعزت دروزة، والزحيلي[25]، وهو قول الحسن البصري، وعبد الرحمن بن سابط[26].

القول الثالث: المراد هو آدم عليه السلام وذريته، انفرد به رشيد رضا وثناء الله الهندي والشنقيطي وسعيد حوى[27].

المطلب الثالث: مناقشة الأقوال:

لا بُدَّ للمتأمل في المراد بـ(خليفة) في الآية من الوقوف على مقصود ودلالة هذه الكلمة فهي تتأرجح بين آدم عليه لسلام وبين ذريته من بعده، وهذا من اختلاف التنوع الذي يرجع إلى أكثر من معنى ذكرته الآية.

وقد ذهب أصحاب القول الأول إلى أنَّ المقصود بـ(خليفة) هو آدم عليه السلام وقولهم هذا مبنيٌ على تفسير القرآن بالقرآن في قوله تعالى: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ٢٦ ﴾[28]، فالأنبياء مستخلفون عن الله تعالى في عمارة الأرض وإقامة أمره وتبليغ دعوته، وهذا ما يوافق سياق الآية التي تُصَوِّر خلق آدم وتعليمه وتفضيله وإسجاد الملائكة له، قال الآلوسي مفسرًا الآية: (والمشهور أنَّ المراد به آدم عليه السلام هو الموافق للرواية ولإفراد اللفظ ولما في السياق)[29].

وقد اعتُرِضَ على هذا القول بأنَّه منافٍ لقول الملائكة:﴿ وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٠ ﴾ [30]، ويجاب على ذلك بأَنَّ الله تعالى أعلم ملائكته بوجود من يفسد فيها من ذرية آدم فكان مرادهم ذرية آدم مع ما تحمله إفادة العموم المرتبطة بالاسم الموصول (مَنْ) الوارد في الآية[31].

وذهب القائلون بالقول الثاني بأَنَّ المقصود بـ(خليفة) هو ذرية آدم عليه السلام وحملوا الآية على قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ ٱلۡأَرۡضِ وَرَفَعَ بَعۡضَكُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٦٥ ﴾[32]، مستدلين على ذلك بأَنَّ (خليفة) اسم جنس مفرد ويكثر في العربية إطلاقه مرادًا به الجمع بمعنى خلائف كقوله تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ٧٤ ﴾ [33]، وقد استغني بذكر الأب عن بنيه كما يستغنى بذكر أبي القبيلة عن أفرادها كقولهم: مضر وهاشم[34].

وقد جمع من قال بأن المقصود هو آدم عليه السلام وذريته بين القولين الأول والثاني؛ لأَنَّ خلافة آدم هي الخلافة الشرعية وخلافة ذريته أعمُّ من ذلك[35].

المطلب الرابع: الترجيح:

بعد إيراد أدلة الأقوال في الآية الكريمة يَتَبَيَّنُ لي أنَّ القول الثالث هو الأقرب إلى الصواب؛ لأنه يجمع بين القولين الأول والثاني كونهما من اختلاف التنوُّع الذي يرجع إلى أكثر من معنى ولدلالتهما على سياق الآية والمعنى الظاهر منها، فيكون بذلك وجه بيان الآية بما ورد في تفسيرها من الآيات من باب ذكر اللفظ العام وتفسيره ببعض أفراده، والأصل بقاء اللفظ العام على عمومه ما لم يرد فيه دليلٌ صحيحٌ يُخَصِّصُه وفقًا لقاعدة: **(يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نصٌّ بالتخصيص)**[36].

المبحث الثاني: المراد بالأسماء في قوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ ﴾[37].

المطلب الأول: التفسير الإجمالي للآية:

أنزل الله تعالى الآية الكريمة في معرض تشريفه واصطفائه لآدم عليه السلام وإظهار مفخرته به على غيره من الملائكة والجن وجميع المخلوقات، وإظهارًا لأسراره وعلومه المكنونة على من يشاء من صفوة خلقه، فَعَلَّمَ آدم أسماء جميع المُسَمَّيَات وصفاتها، وقد اعترف الملائكة الكرام بقصورهم أمام حكمة الله تعالى وإرادته.

وآدم عليه السلام هو أبو البشر خلقه الله تعالى من ترابٍ وأمر الملائكة بالسجود له، وسُمِّيَ كذلك لخلقه من أديم الأرض وهو وجهها، وقيل معناه (التراب) بالعبرانية، وقيل معناه (الساكن) بالسريانية[38].

المطلب الثاني: الأقوال الواردة في المراد بالأسماء في الآية:

يمكن حصر أقوال المفسرين المعاصرين في المراد بالأسماء التي علمها الله تعالى آدم عليه السلام بقولين رئيسيين:

القول الأول: المراد أسماء جميع الأشياء من المخلوقات، وبه قال: الآلوسي، وصِدِّيق خان، والقاسمي، وثناء الله الهندي، وابن عاشور، وعزت دروزة، وسعيد حوى، والهرري، وسيد

طنطاوي[39]، وهو قول: ابن عباس، وعكرمة، وقتادة، ومجاهد، وسعيد بن جبير، والحسن البصري، والربيع بن أنس[40].

القول الثاني: المراد مسميات الأشياء وليس الأسماء، وبه قال: رشيد رضا، وعبد الكريم الخطيب، والشنقيطي، وأبو زهرة، والزحيلي[41].

المطلب الثالث: مناقشة الأقوال:

استند أصحاب القول الأول إلى اللغة لورود لفظ الأسماء بصيغة الجمع المعرَّف بأل الاستغراقية الدالة على العموم[42]، وتأكيد ذلك بلفظ (كل) الدال على الشمول والتوكيد بما يثبت تعليمه جميع أسماء الموجودات دون استثناء، كذلك يؤيده قوله صلى الله عليه وسلم: **(يَجْتَمِعُ المُؤْمِنُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيَقُولُونَ: لَوِ اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا، فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: أَنْتَ أَبُو النَّاسِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلاَئِكَتَهُ، وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ، فَاشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّكَ ... الحديث)**[43].

وقد انفرد ابن عاشور بالقول بأَنَّ المراد بالأسماء ابتداءً أسماء الذوات من أعلام الأشخاص وأجناس الحيوانات والنباتات وغيرها وليس بالضرورة أن يكون ما عُلِّمَهُ آدم عليه السلام ابتداءً شيءٌ من أسماء المعاني والأحداث التي طرأت واستجدت في ما بعد[44].

كما انفرد الهرري بإضافته لهذا القول ما عُلِّمَهُ آدم عليه السلام من أسماء الله تعالى بدلالة صيغة الجمع في الآية على العموم والشمول[45].

أما أصحاب القول الثاني فقد فسَّروا الأسماء بأَنَّها مسميات الأشياء حملًا على تفسير القرآن بالقرآن في قوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ ﴾[46]، فقد عبَّر الله تعالى بالدليل عن المدلول؛ لشدة الصلة بين اللفظ وما وضع له من معنى وهو من قبيل ذكر الاسم وإرادة المسمَّى[47].

المطلب الرابع: الترجيح:

القول الأولى فيما تقدم من أقوالٍ وما استندت إليه من دلائل هو القول الأول؛ لمطابقته مقتضى ظاهر اللفظ القرآني، وتأكيده بدلالة النص النبوي، ولموافقته سياق الآية في بيان حكمة الله تعالى من تفضيل آدم عليه السلام كونه عالمًا بأسماء كل الأشياء مقابل ضعف وقصور علم الملائكة في ذلك، ولا مانع من دخول القول الثاني في معنى الأسماء التي علَّمها الله تعالى آدم عليه السلام؛

لأن مجرد العلم بالاسم يستلزم العلم بمعناه، ولا فائدة في العلم بالاسم بدون معرفة معناه والله تعالى أعلم.

الخاتمة وأبرز النتائج:

بعد هذه الرحلة المباركة في رحاب التفسير توصلت إلى مجموعةٍ من النتائج:

1 ـ ظهرت بوادر تفسير القرآن بالقرآن على يد النبي صلى الله عليه وسلم، ثم نشأ وتطور في عصر الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم.

2ـ يعد هذا التفسير من أصحِّ وأشرف طرق التفسير، فقائل الكلام أدرى بمراده ومقاصده.

3ـ ظهر التفسير المقارن بشكل مختصر ضمن موضوعات التفسير التحليلي والموضوعي، ثم تطور تدريجيًا على يد بعض المفسِّرين المعاصرين.

4ـ التفسير المقارن منهج مهم من طرق التفسير يتخذ خطوات علمية لمعرفة اختلاف المفسِّرين في اللفظ القرآني ومقارنتها وصولًا إلى القول الراجح في المسألة.

5ـ جاء الحديث عن التفسير المقارن في تفاسير المعاصرين ضمن حديثهم عن ألوان التفسير الأخرى كالتفسير التحليلي والموضوعي؛ لذلك نجده مختصرًا ومحدودًا.

6ـ ضرورة اتباع الخطوات العلمية والمنهجية الرصينة في المقارنة وصولًا للمقصود من الآيات.

7ـ الأولى في المراد بخليفةٍ في الآية تفسيره بآدم عليه السلام وذريته لاشتمال المعنى عليهما معًا كونهما من اختلاف التنوع في التفسير ، وهذا ما توصلت إليه من خلال المناقشة.

8ـ حمل الأسماء التي علمها الله تعالى لآدم عليه السلام على أسماء جميع المخلوقات ومسمياتها وفق ما أورده المفسرون المعاصرين واستدلوا عليه في تفاسيرهم.

مصادر البحث:

القرآن الكريم.

1ـ مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبي الحسين، (ت395هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م.

2ـ لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن علي، أبي الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، (ت711هـ)، دار صادر – بيروت، ط 3 - 1414 هـ.

3ـ مناهل العرفان في علوم القرآن، لمحمد عبد العظيم الزُّرْقاني، (ت 1367هـ)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه،ط3.

4ـ المعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربية بالقاهرة ـ إبراهيم مصطفى وآخرون، دار الدعوة.

5ـ التفسير الموضوعي للقرآن الكريم د. أحمد السيد الكومي.

6ـ التفسير المقارن دراسة تأصيلية د. مصطفى المشني ـ مجلة الشريعة والقانون ـ العدد 26 لسنة 2006.

7ـ التفسير المقارن للجملة القرآنية (هؤلاء بناتي) د. مروان علي النقبي ـ مجلة جامعة الشارقة ـ العدد 1 لسنة 2019.

8ـ التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر – دمشق، ط2 ، 1418 هـ.

9ـ العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، (ت 170هـ)، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

10ـ الكليات، لأيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبي البقاء الحنفي، (ت 1094هـ)، تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت.

11ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت 1270هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1415 هـ.

12ـ فتح البيان في مقاصد القرآن، لأبي الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي، (ت1307هـ)، عني بطبعه وقدم له وراجعه: خادم العلم عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا – بيروت، 1412 هـ – 1992م.

13ـ محاسن التأويل، لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، (ت1332هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1 – 1418هـ.

14ـ تفسير المراغي، لأحمد بن مصطفى المراغي، (ت1371هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط1، 1365 هـ – 1946 م.

15ـ التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت1393هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس، 1984 هـ.

16ـ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، (ت 1393هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، 1415 هـ – 1995 مـ.

17ـ زهرة التفاسير، لمحمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة، (ت1394هـ)، دار الفكر العربي.

18ـ تفسير الشعراوي – الخواطر، لمحمد متولي الشعراوي، (ت1418هـ)، مطابع أخبار اليوم.

19ـ تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، لمحمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، بيروت – لبنان، ط1، 1421 هـ – 2001 م.

20ـ التفسير الوسيط للقرآن الكريم، لمحمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، ط1.

21ـ جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبي جعفر الطبري، (ت310هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420 هـ – 2000 م.

22ـ تفسير القرآن العظيم، لأبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم، (ت 327 هـ)، تحقيق: أسعد محمّد الطيّب، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط2، 1419 هـ.

23ـ مفاتيح الغيب، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، (ت 606هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط3 – 1420 هـ.

24ـ التفسير الحديث، لدروزة محمد عزت، دار إحياء الكتب العربية – القاهرة ،1383 هـ.

25ـ تفسير القرآن الحكيم، لمحمد رشيد بن علي رضا القلموني الحسيني (ت 1354هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990 م.

26ـ تفسير القرآن بكلام الرحمن لثناء الله الهندي.

27ـ الأساس في التفسير، لسعيد حوّى، (ت1409 هـ)، دار السلام – القاهرة، ط6، 1424 هـ.

28ـ قواعد التفسير لخالد السبت.

29ـ قواعد الترجيح عند المفسِّرين لحسين بن علي الحربي.

30ـ الإحكام في أصول الأحكام، لأبي الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي، (ت 631هـ)،

تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت– دمشق– لبنان.

31ـ صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبي عبد الله، (ت 256 هـ)، دار ابن كثير، اليمامة – بيروت ، ط3، 1407 – 1987، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا.

---

[1]() ص: 29.

[2]() الفرقان: 33.

[3]() ينظر: مقاييس اللغة لابن فارس : 504/4 و لسان العرب : 55/5.

[4]() التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي :15/1

[5]() البرهان في علوم القرآن للزركشي :13/1 .

[6]() مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني: 3/2.

[7]() ينظر: تفصيل ذلك في البرهان في علوم القرآن للزركشي : 277/1.

[8]() القيامة: 17ـ 18.

[9]() ينظر: إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول: 85/1 ، والواضح في علوم القرآن لمصطفى ديب البغا: 15/1.

[10]() ينظر: المنهج الأثري لأبي طبره : ص56.

[11]() ينظر: تفسير القرآن بالقرآن دراسة تأصيلية للبريدي : ص17.

[12]() ينظر: شرح مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية: 275/1 للدكتور مساعد الطيار، وتفسير القرآن بالقرآن دراسة تأصيلية:39.

[13]() ينظر: مقاييس اللغة، مادة (قَرَنَ): 76/5.

[14]() ينظر: المعجم الوسيط لإبراهيم مصطفى وآخرين، مادة (قَرَنَ): 731/3.

[15]() التفسير الموضوعي للقرآن الكريم د. أحمد السيد الكومي: 17.

[16]() التفسير المقارن دراسة تأصيلية د. مصطفى المشني ـ مجلة الشريعة والقانون ـ العدد 26ـ 2006: 148.

[17]() هذه الفقرة لخصتها باختصار من بحث: التفسير المقارن للجملة القرآنية (هؤلاء بناتي) د. مروان علي النقبي ـ مجلة جامعة الشارقة ـ المجلد 16 ـ العدد 1 ـ 2019: 412ـ 413.

[18]() ينظر: التفسير المقارن دراسة تأصيلية د. مصطفى المشني ـ مجلة الشريعة والقانون ـ العدد 26 ـ 2006: 180 ـ 185 (باختصار).

[19]() البقرة: من الآية 30.

[20]() ينظر: التفسير المنير للزحيلي: 124/1.

[21]() ينظر: العين للفراهيدي، مادة (خَلَفَ): 267/4، ولسان العرب، مادة (خَلَفَ): 83/9ـ 84.

[22]() ينظر: الكليات للكفوي: 427.

[23]() ينظر: روح المعاني: 222/1، وفتح البيان في مقاصد القرآن: 126/1، ومحاسن التأويل: 284/1، وتفسير المراغي: 80/1، والتحرير والتنوير: 399/1، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: 20/1، وزهرة التفاسير: 194/1، وتفسير الشعراوي: 239/1، وحدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن: 291/1، والتفسير الوسيط لطنطاوي: 92/1، والتفسير المنير: 129/1.

[24]() ينظر: جامع البيان: 451/1، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم: 77/1، ومفاتيح الغيب: 389/2.

[25]() ينظر: محاسن التأويل: 284/1، والتفسير الحديث: 155/6، والتفسير المنير: 129/1.

[26]() ينظر: جامع البيان: 451/1، ومفاتيح الغيب: 389/1.

[27]() ينظر: تفسير المنار: 215/1، وتفسير القرآن بكلام الرحمن: 14/1، وأضواء البيان: 21/1، والأساس في التفسير: 115/1.

[28]() ص: من الآية 26.

[29]() روح المعاني: 222/1.

[30]() البقرة: من الآية 30.

[31]() ينظر: قواعد التفسير: 550/1.

[32]() الأنعام: من الآية 165.

[33]() الفرقان: من الآية 74.

[34]() ينظر: مفاتيح الغيب: 389/2، وأضواء البيان: 20/1.

[35]() ينظر: أضواء البيان: 21/1.

[36]() قواعد الترجيح عند المفسرين: 527/2.

[37]() البقرة: 31.

[38]() ينظر: مقاييس اللغة، مادة (أَدَمَ): 72/1، ولسان العرب، مادة (أَدَمَ): 11/12، والكليات: 68.

[39]() ينظر: روح المعاني: 226/1، وفتح البيان في مقاصد القرآن: 128/1، ومحاسن التأويل: 287/1، وتفسير القرآن بكلام الرحمن: 15/1، والتحرير والتنوير: 409/1، والتفسير الحديث: 155/6، والأساس في التفسير: 116/1، وحدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن: 299/1، والتفسير الوسيط لطنطاوي: 94/1.

[40]() ينظر: جامع البيان: 482/1-485، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم: 81/1، والجامع لأحكام القرآن: 282/1.

[41]() ينظر: تفسير المنار: 218/1، والتفسير القرآني للقرآن: 52/1، وأضواء البيان: 32/1، وزهرة التفاسير: 96/1، والتفسير المنير: 124/1.

[42]() ينظر: المحصول للرازي: 375/2، والإحكام للآمدي: 197/2.

[43]() صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة البقرة، باب قول الله تعالى (وعلم آدم الأسماء كلها): 1623/4 برقم (4206).

[44]() ينظر: التحرير والتنوير: 409/1.

[45]() ينظر: حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن: 299/1.

[46]() البقرة: من الآية 31.

[47]() ينظر: تفسير المنار: 218/1، وزهرة التفاسير: 196/1.